

ألف حكاية وحكاية (٨١)

صديق فى الطريق

وحكايات أخرى

تأليف

يعقوب الشارونى



رسوم

عادل البطراوى

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى
المنجارية - القاهرة

صديق في الطريق

تحكى هالة الشاروني ، مقدمة برامج الأطفال في التلفزيون ،
فتقول: عند مدخل أحد كبارى المشاة العلوية بالقاهرة ، شاهدتُ
ذات مساءً طفلاً يبلغ عمره حوالي تسع سنوات ، قد ركع على
الأرض ، وانهمك في كتابة كراسة وأمامه كتاب ، وبجواره صندوق
به علب كبريت ومشابك للغسيل وغيرها.

وقفتُ أمامه وسألتُهُ: "ماذا

تفعل؟"

قال: "أكتب وأجب

المدرسة."

سألتُهُ: "هل تستطيع الرؤية

في هذا الضوء الضعيف؟"

أجاب الصغير: "الحمد لله

أننى أجد هذا النور ، ففي بيتنا لا

توجد كهرباء أصلاً."

وعدتُ أسأله: "وهل تبيعُ

كثيراً من هذه الأشياء؟"



قال: "أبى أعطاني هذا
الصندوق لأبيع ما فيه ، وبالفلوس
أشتري بضاعة أخرى ، والمكسب
أدفع منه مصروفات المدرسة ،
وأشتري أدواتي وملابسي وأخذ
مصروفي."

وقبل أن أفيق من دهشتي ، سألتني الصغير عن معنى عبارة
"هطل المطر" ، فشرحها له وأنا أفتح حقيبتي لأعطيهِ نقودًا ، لكن
الصغير أبعده يدي وهو يقول: "إذا أخذتُ نقودًا ، لا بد أن تشتري من
عندي شيئًا."

فقلتُ له: "وماذا عن
الهدية؟"

قال: "الهدية غيرُ
الفلوس."

فاشتريتُ له كتابًا ملونًا
وحلوى ، فقبلها باسمًا وسألتني:
"هل طريقك كل يوم من هنا؟"
قلتُ وقد شعرتُ أننا
أصبحنا صديقين: "كلما مررتُ
من هنا ، لا بد أن تراني."



شئ من كل شئ

رغم مشاغل الأب الكثيرة ، التي منعتهُ معظم أيام السنة من الخروج في رحلاتٍ مع أولاده ، فقد استطاع أخيراً الذهاب مع ابنيه لزيارة حديقة الحيوان. وأصرَّ الابن الأصغر ، وكان في العاشرة من عمره ، على أن يبدؤا بزيارة جبالية القروء.



وطال وقوفهم أمامها ، فطلب أخوه ووالدُهُ أن يتحركوا لرؤية
بقية حيوانات الحديقة وطيورها. لكنَّ الأخ الأصغر فضَّل البقاء أمام
الجبلاية ، فسمح له بالبقاء أمام القروود ، وذهب لمشاهدة بقية
الحديقة.

وعند العودة إلى المنزل ، أخذت الأمُّ تسأل ابنيها عمَّا رآياه
في الحديقة ، فأجاب الأكبر عن معظم الأسئلة. أمَّا الأصغر فقد بقيَ
صامتًا ، ولم يُجب عن أية أسئلة غير التي تدورُ حول القروود.
وعرفت الأمُّ ما حدث خلال الرحلة ، فقالت لابنها الأصغر:
"لقد خسرت الكثير يا عزيزي باهتمامك طوال الوقت بالقروود
وَحَدَّهَا، وحرمت نفسك من التعرف على بقية الحيوانات التي تمتلئُ
بها الحديقة."

قال الابنُ: "هل الأفضل يا
أمِّي ، أن أعرف شيئًا قليلًا عن كلِّ
شيءٍ ، أم أن أعرف أشياء كثيرة عن
شيءٍ واحدٍ؟"

قال الأبُ: "قبل أن يتخصَّصَ
الإنسانُ في معرفة شيءٍ مُعَيَّنٍ ، من
الأفضل ، في البداية ، أن يعرف شيئًا
عن كلِّ شيءٍ."



يوميات كل ليلة

فى مدرسة طارق بن زياد للبنات بشبرا ، التقينا بصديقات
المكتبة ، فى حوار حول كُتب الأطفال .

سألت "سما" : "ما

هى أفضل طريقة لتنمية

القدرة على الكتابة

الأدبية؟"

قلتُ لها: "حاولي

أن تُجيبى أنتِ عن هذا

السؤال."

قالتُ: "بالقراءة."

قلتُ: "وبالكتابة

أيضًا."

قالتُ: "ماذا

نكتب؟"

قلتُ لها: "لقد كُنتُ كتابةً يوميَّاتي ، منذُ بلغتُ التاسعة من

عمرى ، حتى وصلتُ السابعة عشرة ، هى وسيلتى الأساسية لتنمية

قدراتى على الإبداع الأدبى."

ففى كل ليلةٍ كُنتُ أجلسُ إلى مكتبى قبل أن أنام ، لأكتبَ

صفحةً أو عدة صفحاتٍ ، أسجِّلُ فيها أهمَّ الانطباعاتِ عمَّا حدثَ لى

خلال اليوم



.. أهمّ ما قرأتُ أو سمعتُ.. أكثر الأشياءِ التي تركتُ أثرًا
في نفسي .. تحليلي لأهمّ الشخصياتِ التي قابلتها طوالَ اليوم ..
مشاعري وانفعالاتي حولَ ما واجهتني من مواقف. ثماني سنواتٍ لم
أتوقّف خلالها ليلةً واحدةً عن الكتابة.

ثم عدتُ أسألُ سماء: "كيف
تتصوّرِينَ مدى الفوائدِ التي خرجتُ بها
من مثلِ هذه التجربة؟"
قالتُ: "الاحتفاظُ بالذكرياتِ."
قالتُ كرسيتينا: "والاستفادةُ من
الأخطاءِ."
وقالتُ طالبةٌ ثالثة: "والتدريبُ
اليوميُّ على الكتابة."
وقالتُ رابعة: "والاستفادةُ من كلِّ
ما نرى أو نسمعُ."
وقالتُ خامسة: "وأن تُدعى القدرةُ
على التعبيرِ عن النفس."

قلتُ: "هذه كلّها إجاباتٌ صحيحةٌ، وأعتقدُ أن كتابةَ
اليوميّاتِ، في مثلِ تلكِ السنواتِ المبكرةِ، هي المدرسةُ الكبرى،
التي يمكنُ أن نصقلَ من خلالها القدرةَ على الإبداعِ الأدبيّ."



دعاني الأستاذ "صلاح شريت"، المشرف على الثقافة بجنوب الصعيد، لألتقي بأطفال محافظة أسيوط، وقدمني إلى سبعمائة من الأصدقاء الصغار، الذين تجمّعوا في قاعة المسرح الصيفية، لتجاوز معًا.

سألوني: "ما هي أول قصة كتبتها؟"

قلت لهم: "كنت في الثامنة أو التاسعة من عمري، أقوم بتأليف القصص، وأحكيها لأصدقائي في المدرسة الابتدائية. ثم بدأت أكتبها.

وكانت جدتي تحكي لي حكاياتنا الشعبية، منذ بلغت الرابعة من عمري. ومن بين ما حكّت لي، حكاية نشرتها بعد ذلك بثلاثين عامًا، باسم "خاتم السلطان".



كتبْتُها في البداية في صفحة واحدة ، ثم كتبْتُها تمثيلية
عرانس ، مثلْتُها مع إخوتي في بيتنا ، ثم حولْتُها إلى تمثيلية لفريق
التمثيل بالمدرسة الثانوية ، الذي كنتُ رئيسًا له .

بعدئذٍ تركْتُها سنواتٍ ، إلى أن كتبْتُها من جديد كقصة ، نشرْتُها
في دار المعارف في سلسلة "المكتبة الخضراء" . وقد تكونُ هذه ،
أول قصة كتبْتُها .

وقلْتُ لأصدقائي الصغار : "ومنذُ شهور ، صدرتُ طبعْتُها الثامنة ،
بينما تاريخُ أول كتابَةٍ لي يعودُ إلى أيام الطفولة المبكرة ، لكنها مثلُ
الكانن الحَيِّ ، ظلَّت تنمو ، إلى أن حقَّقْتُ هذه الحياة الطويلة
الناجحة ."



ذات صباح ، ذهبنا إلى خيمة المكتبة ، المقامة في حديقة دار العلوم بالقاهرة ، في لقاء مع القراء الصغار حول الكتب والقراءة ، ضمن برنامج القراءة للجميع . ودار الحديث حول الكتب التي نتحدث عن علماء العرب والمسلمين ، والذين سبقوا بعلمهم واكتشافاتهم علماء أوروبا بمئات السنين ، وكيف أن النهضة العلمية العربية بدأت في بداية القرن التاسع الميلادي ، لكنها لم تبدأ في أوروبا إلا مع عصر النهضة في القرن الخامس عشر .

وفتحنا كتاباً مصوراً
للأطفال ، يرشدهم إلى أهم
معروضات المتحف الإسلامي
بالقاهرة . ومن بين المعروضات
أهم الإنجازات العلمية
للحضارة العربية . وأشرنا إلى
صورة أحد معروضات المتحف ،
وطلبنا أن يتعرف عليها
الأطفال .



ورفعت "سلوى" الصغيرة يدها. كان عمرها لا يتجاوز ستة سنوات ، ودهشنا لصغر سنها ، لذلك طلبنا منها أن تجيب.
وفي ثقة قالت: "هذه هي الساعة الرملية .. وقد رأيته في المتحف الإسلامي مع والدي ، وعرفت منه كيف تعمل .."
وانطلق الحاضرون ، الصغار والكبار ، يصفقون في حماس لسلوى الصغيرة ، التي عرفت الجواب الصحيح.

وفي اليوم التالي ، حدثتني والدته سلوى ، فقالت: "رجعت سلوى إلى البيت ، لا نسمع منها إلا إلحاحها لنأخذها في زيارات جديدة للمتحف الإسلامي وغيره من المتاحف، وعن رغبتها في قراءة الكتب التي تتحدث عن المتاحف والمعلومات."

"كانت سلوى تقول: هل رأيته يا أمي كيف صفق لي كل الأطفال ، لأنني عرفت الجواب الصحيح؟! أريد أن أعرف كل الإجابات عن كل الأسئلة."



حوادث مرور أمام المدرسة

في نادي الطفل بعين حلوان ، التابع لجمعية الرعاية المتكاملة ، التقيتُ بسنتين من بناتنا الطالبات ، في المدارس الإعدادية.



سألتني شيماء: "تزايدت حركة المرور بالشارع الذي تقع فيه مدارسنا ، تسبب أخيراً في عددٍ من الحوادث للأطفال ، فكيف نواجه هذا الخطر؟"
قلتُ لها: "بل أنا الذي أسألك ، ماذا تقترحين أنت وزميلاتك؟"
قالت ليلى: "نقيم الحكومة نفقاً أو كوبري."

قلتُ: "من الصعب مُطالبةُ الحكومةِ بإقامةِ الكبارى و الأنفاق التى تتكَلَّفُ الملايينَ ، أمامَ كلِّ مدرسةٍ."

قالت فاطمة: "نطلب تعيين شرطى مرور ، لتنظيم عبور الأطفال للشارع."

سألت: "هل يسكن من فكرت فعلا فى كتابة اقتراح بهذا المعنى ، لتقديمه إلى مديرة المدرسة ، أو مأمور القسم ، أو إدارة الحى؟"

هنا سكنت الطالبات ، لكن مريم قطعت الصمت عندما وقفت لتقول: "أو نطالب بإنشاء مطب صناعى ، يحد من سرعة السيارات."

قلت: "ألا تلاحظن أن الاقتراحات كلها طلبات من الحكومة؟! أريد أن أسمع اقتراحا تنفذنه بأنفسكن."

وبعد لحظات من التفكير ، قالت هبة: "أنا عضوة فى فريق المرشدات بالمدرسة .. نقف بالتناوب ، لتنظيم المرور أمام مداخل مدارسنا."

وبتلقائية صفقت كلُّ الحاضرات لاقتراح هبة ، فقد وجدن فيه الحلَّ العمليَّ السريعَ ، الذى تستطيع كلُّ واحدةٍ منهن أن تساهم فيه بمجهودها الخاصِّ.



دقائق للقراءة

كنا نتحدّث عن تنمية الاتجاهات والعادات عند الأطفال ،
خاصةً في مجال القراءة ، فقالت إحدى الخبيرات المتخصّصات في
مجال التربية:



كنتُ أحضرُ مؤتمرًا في الولايات المتحدة الأمريكية ، فذهبتُ
لزيارة مدرسة ابتدائية. وأثناء الزيارة ، وفي تمام الساعة العاشرة
صباحًا ، دقَّ جرسُ المدرسة بطريقة خاصة ..
وفوجئتُ بكلِّ مَنْ في المدرسة ، من تلاميذ ومدرّسين ،
يتركون ما في أيديهم من كراساتٍ أو أنشطة أو حديثٍ ، ويتناول كلُّ
منهم كتابًا أو مجلةً أو صحيفةً ، وينهمك في المطالعة ، بشرط أن
تكون المادة المقرّوءة خارج المنهج المدرسيّ.

وسادَ المدرسةَ هدوءٌ عجيبٌ
لمدةٍ عشرِ دقائقٍ، وقد استغرقَ كلُّ
من فيها في القراءة.

وعلمتُ أن هذه الدقائقَ
العشرَ تتكرَّرُ كلَّ يومٍ، على امتدادِ
العامِ الدراسيِّ. وفي نهايةِ كلِّ
أسبوعٍ، تُخصَّصُ حصَّةٌ دراسيةٌ،
لمناقشةِ أهمِّ ما قرأه كلُّ تلميذٍ في
خلالِ هذه الدقائقِ.

مدرسة



وختمتِ الخبيرةُ حكايتها قائلةً: هكذا ينشرونَ الوَعْيَ بأهميةِ
القراءةِ، ويُنمِّونَ عادةَ القراءةِ، بدونِ أيِّ نفقاتٍ، بل فقط بالجِدَّةِ
والالتزامِ عندَ تنفيذِ هذه الفكرةِ البسيطةِ، وبالقدوةَ التي يقدِّمُها
الكبارُ للصغارِ خلالَ دقائقِ القراءةِ اليوميةِ.

برامج من العالم كله

سألتني مجموعة من الطالبات ، عن أثر التدفق الإعلامي في مختلف وسائل الاتصال ، وما ينتج عنه من تعرضنا لكثير من البرامج والأخبار ، خاصة التليفزيونية ، التي قد لا يرضى البعض عن مضمونها . فسألتهن :

"إذا كان الهواء والبيئة من حولنا ملأنة بالكائنات المفيدة والضارة ، فهل علاج هذا الأمر أن نُعقِم البيئة من حولنا ، أم نتعلّم العادات الصحية ، التي تُساعدنا على الاستفادة من المواد والكائنات المفيدة ، وتجنب المواد والجراثيم الضارة؟"
قلن: " بل نتعلّم كيف نتجنب الضارّ."



قلتُ لهنّ: "وبعد سنوات قليلة ، ستنتشر أجهزة تليفزيون ، لن تحتاج إلى هوائي خاصّ لالتقاط البرامج من كل أنحاء العالم . لذلك فإن علينا أن نتعلّم ، من الآن ، كيف نستفيد بما يُفيدنا من برامج ، وأن نتجنب ضرر غير المفيد منها . فالتربية الصحيحة هي ، في كثير من جوانبها ، تنمية القدرة على الاختيار ، للتمييز بين المفيد والضارّ ."